تشكيل

## معرض الفنان العراقي ضياء العزاوي:

# نشيد لوني طويل

افتتح امس الاول معرض الفنان العراقي ضياء العزاوي في صالة (٥٠ × ٧٠) بالحمراء، تضمن ثلاثا وعشرين لوحة تنوعت بين الاكريليك والسيلك سكرين. ويقام هذا المعرض مع آخرين مماثلين في كل من عمان ودمشق. يستمر لغاية الثلاثين من تشرين الاول الجاري.

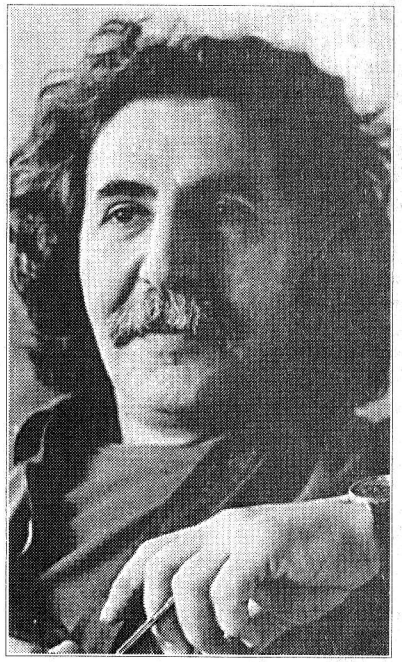

الفنان ضياء العزاوي

تنقسم اعمال المعرض بشكل رئيسي بين موضوعين اثنين، اول، يلاحق المكان، حيث ان مراكش هي الابرز فيه، وثان، يتابع نصوص الكتب، وابرزها «كتاب الحب».

وفي الوقت الذي كان جماعة بغداد للفن الحديث ينطلقون من التوكيد على الهوية الفنية، من خلال اللصوق بأمكنة المدينة كذاكرة لا يمكن التخلي عنها، فان ضياء العزاوي الذي ابتعد عن بغداد وهجرها الى لندن منذ العام ١٩٧٦، يبحث عن امكنة عربية اخرى، يجد في مراكش - على ما يبدو - ذلك الرخاء الذي رسخ علاقته بها، فأدخلها الى محطاته الفنية، لتمثل تلك الهوية العربية.

كأننا بضياء العزاوي يستلهم، من خلال مراكش، تلك العراقة التاريخية لبغداد، ويوازي تلك الالوان الحارة الصحراوية مع تلك التي يحملها عن بغداد ووهجها اليومي.

واذا كان المكان حاضرا في اعمال العزاوي، فان الزمان لا يبدو ضروريا، اذ يقدم رؤاه ومشاهده بشكل معزول عن التاريخ. المهم انه ينطلق في تعبيريته من حالات انفعالية نفسية تجد تمثلاتها اللونية والشكلية في اللوحات. وغالبا ما تعبر تلك الانفعالات عن ذلك الحزن العراقي المتأصل في نفوس الفنانين.

لا يرتحل ضياء العزاوي في اعمال معرضه هذا من داخله وجوانيته الى الخارج. اي الى الموضوع الواقعي، وانما بالعكس من ذلك، فان الواقع امامه، يتحول الى مغامرة فردية يدفعها الى اقصى ما يمكن قبوله في التجريد البغدادي. فالطبيعة في الخارج معطى بصري وحسي، يتحول بناؤه في ذات الفنان، ويخضع لمزاجه وانفعالاته، فيبقى ما يمكن للذاكرة قبوله، وما يمكن ان يترسخ، بالشكل واللون.

من كتاب الحب

### هجرة وذاكرة

فاذا كان الفنان يستطيع ان يهجر الاشكال الى غير رجعة اليها او تلميح لها، الا انه كسواه من البغداديين المحافظين على جزء من العلاقة بالجمهور، مازال يمد جسوره الى الواقع، من خلال الترميز اليه، وابراز عناصره، رغم ذلك الابتعاد عن الموضوع في لوحات المعرض في اتجاه التشكيلات النفسية الذاتية.

تبدو المحافظة على عناصر الواقع الشكلية في المعرض، اخلاصا للامكنة والانتماء، للتشكلات الرؤيوية الصورية في نفسه وذاكرته البصرية، واخلاصا للجمهور الذي يصر على التواصل معه، عبر علامات لا بد منها لنسج خيوط لازمة وقنوات تسهل الدخول في اللوحة.

لا يهتم ضياء العزاوي بابراز الاشخاص بأشكالهم المتوازنة، فهو يذهب الى ذلك المزيج بين التكعيبية والتعبيرية، فالاجسام والعناصر تتقاطع وتجتمع وتتناثر، من دون اي تحرج. فالمهم ان تبرز رموز الاشكال او عناصر منها. فالجزء بديل من الكل، اذ ان اليد، الرجل، الجبين، النظارتين، الاثواب، كلها يمكن ان تشير مفردة الى وجود الانسان، فلا ضرورة لاستحضار الشكل بكليته، لان ذلك ربما يحد من حرية الفنان الذي يطمح الى الكثير من التجريد، الذي يبرز على درجة عالية من الطلاق مع الشكل في بعض اللوحات، وتحويل اللوحة الى مجرد تشكل لوني، لولا بعض الاشارات القليلة.

فاللون في لوحات المعرض بالاضافة الى اسلوب استحضار الاشكال، يمكن ان يكون من الاسباب الاساسية في اغناء العمل الفني. بعض اللوحات تتحول الى مجرد مساحات لونية مبنية بذاكرة مكانية او شكلية، من دون ان تكون مرتهنة لهما. فماذا يتبقى في الذاكرة بعد ان يختفي الواقع، او يتحول الى ذاكرة متهدمة؟ وماذا يعلق في ذهن السائح من المدينة او الطبيعة، غير ذلك العنصر الذي يصدم العين منذ البداية وهو اللون.

هذا التساؤل يأخذنا الى رمزية اللون الذي يضعه الفنان في لوحاته، اذ نشاهد في لوحات «مراكش» لونا يتردد، بين الاحمر والبني، هو لون ابنية المدينة الموحدة، كما نلاحظ الالوان المتشابهة في تلك اللوحات والتي تدل على فولكلور المدينة، او الزي التراثي.

في احدى لوحات مراكش، يستفيد من الوقع المفاجئ للالوان في اديم الصحراء. وهو في هذه اللوحة يجعل من الوانه توقيعا لجسد في فراغ، ويسمعنا موسيقى الفراغ، ويضعنا امام احساس شاعري من خلال تعبيرية تآليفه اللونية.

يبرز الاسود في لوحات المعرض بشكل لافت، وبقساوة تضع حدا للذاكرة والاسترسال في السرد، وتختصر ادبية نصه التشكيلي. وكيف يصور العراقي ذاكرته من دون الاسود، من دون ان يتذكر العباءات التي تلوح في كل مكان من شوارع بغداد. ذلك الاسود الذي يحمل معه الى سطح اللوحة شعورا بالحزن، يتردد في الكثير من اللوحات.

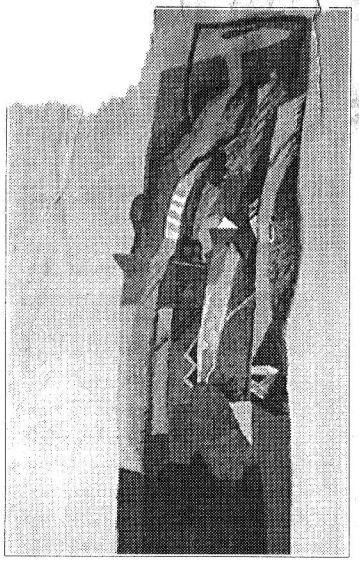

مراكش

اضافة الى ذلك، فالاسود يساعد على ابراز حركة الالوان الاخرى في لوحاته، فيحرك بسلبيته ذلك الحوار الدرامي في لوحته.

يختلف اسلوب العزاوي بين لوحات الاكريليك ومطبوعات السيلك سركين (السيريغراف)، اذ في الثانية، يبدو اكثر اضاءة للواقع والنص، فتبدو الملامح اكثر واقعية، ويعتمد على الوجه في تعبيريته وسرديته.

والعزاوي من الفنانين الذين تعاملوا مع الكتابة العربية، والكلمة والخط، وداخلوا بينها وبين الصورة. من الذين اذابوا حبر الكلام في المواد اللونية قبل البدء بوضعها على القماشة. بل انه، بدا مشدودا الى تصوير النصوص، والبحث عن خزائنها الروحية. واذ وضع في هذا المعرض اربع لوحات من مطبوعاته عن «كتاب الحب»، فهو طبع الكثير من الاعمال التي تختصر نصوصا تراثية وحديثة مثل «المعلقات السبع» و«الف ليلة وليلة»، «النشيد الجسدي»، مجموعة الجواهري، «طائر الحوم» و«مدن الملح»، وسواها الكثير من الرسوم التي تخللت كتب اصدقائه الذين احب نصوصهم فرسمها.

في مطبوعاته الفنية المعروضة تبدو المساحات اللونية مختلفة تماما عن تلك التي في لوحات الاكريليك، اذ تظهر اكثر تحررا وحركة، في حين انها في الاعمال الاخرى تتقطع وتتواصل بشكل يربك العين، ويضفي جوا من الاضطراب الداخلي المقصود في تعبيرية العزاوي، اذ لا يمكن للشكل ان يستقر، او للوجه أن يكون واحدا بعينه، فالشكل اشكال والوجه وجوه، حتى اننا نرى لكل شكل ظلالا تتردد خلفه من دون ان تتشابه معه. كأن الوجه نفسه يضطرب، او العضو نفسه يتناثر في فضاء اللوحة.

ورغم ذلك الجو من التناثر، او ذلك الاسلوب النثري في تقديم الصورة، المنطبع ببعض التكعيبية، فان التوازن التأليفي في اللوحة يبقى حاضرا بقوة.

هكذا يطل علينا العزاوي ليبقى حاضرا في بيروت، احدى العواصم التي يستريح فيها شتاته، ولتبقى اعماله محطة بارزة بغناها التلويني والتعبيري، وبكثافتها التشكيلية.

**احمد بزون**